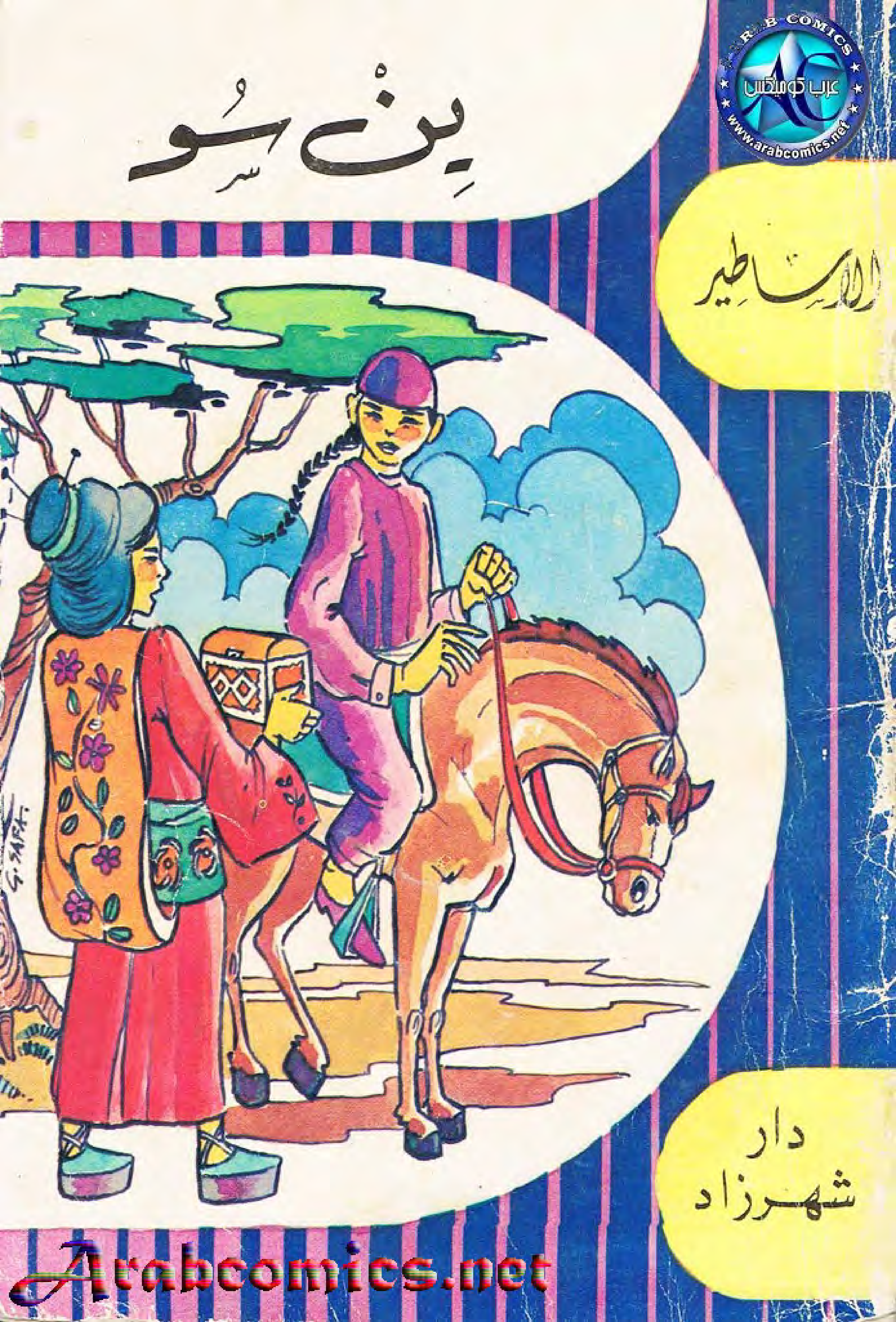


يِنْ سُو
الأساطير
دار
شهرزاد
G. SAFA

الأساطير

يِنْ سُو

دار شهرزاد

الطبعة الثالثة

أيـّار (مايو) ١٩٨٢

زَوْجَةُ ٱلْأَب

عاشَ في قَديمِ ٱلزَّمانِ ، في بِلادِ ٱلصّينِ ، فَلّاحٌ فقيرٌ مَعَ ٱبْنِهِ ٱلوَحيدِ. وَكانتْ ٱمْرَأَتُهُ قَدْ أُصيبتْ قَبْلَ سَنواتٍ بِمَرَضٍ شَديدٍ ، فَماتَتْ تارِكَةً بَيْنَ يَدَيْهِ هٰذا ٱلصَّبِيَّ. فَعُنِيَ بِهِ عِنايَةً كَبيرَةً ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يُعَوِّضْهُ حَنانَ ٱلْأُمِّ وَرِعايَتَها، لِذٰلِكَ فَكَّرَ في أَنْ يَتَزَوَّجَ مَرَّةً ثانِيَةً ، وَأَنْ يَتَّخِذَ ٱمْرَأَةً تُرَتِّبُ لَهُما ٱلْبَيْتَ ، وَتَطْهو لَهُما ٱلطَّعامَ ، وَتَخيطُ لَهُما ٱلثِّيابَ ، وَتَسْهَرُ عَلى راحَتِهِما .

تَزَوَّجَ ٱلقَرَوِيُّ ٱلْأَرْمَلُ بِٱمْرَأَةٍ ثانِيَةٍ وَجاءَ بِها إِلى كوخِهِ ، فَتَظاهَرَتْ في بِدايَةِ ٱلْأَمْرِ بِٱلطّيبَةِ وَٱلْحَنانِ ،

ثُمَّ ٱنْقَلَبَتْ فَكَشَفَت عَنْ حَقيقَتِهـا ٱلشِّرِّيرَةِ ، فَأَخَذَتْ تُعَذِّبُ ٱبْنَهُ ، وَتَقْسو عَلَيْه . وَكانَ ٱلْفَتى هادِئَ ٱلطِّباعِ ، مُطيعاً ، نَبيهاً ، وَمَعَ ذٰلِكَ كانَتْ لا تُحِسُّ نَحْوَهُ إِلّا بِٱلْحِقْدِ ، وَلا تُضْمِرُ لَهُ إِلّا ٱلشَّرَّ . فَهِيَ تَسْعى لِإِهْلاكِهِ وَمَوْتِهِ إِنِ ٱسْتَطاعَتْ إِلى ذٰلِكَ سَبيلاً . وَعَرَفَ ٱلْجيرانُ وَٱلْأَهْلُ كُرْهَها لِٱبْنِ زَوْجِها ، وَشاعَ ٱلْخَبَرُ في ٱلْقَرْيَةِ كُلِّها ، لِذٰلِكَ كانَتِ ٱلزَّوْجَةُ ٱلشِّرِّيرَةُ تُدَبِّرُ مَكيدَةً خَفِيَّةً تَقْضي بِها عَلى ٱلْفَتى دونَ أَنْ يَتَّهِمَها ٱلنّاسُ بِقَتْلِهِ .

قالَتْ يَوْماً لِزَوْجِها :

ــ أَلا تَعْتَقِدُ أَنَّ ٱبْنَكَ يَنْسو يَعيشُ عالَةً في ٱلْبَيْتِ ؟ لا يَعْمَلُ وَلا يَنْشَطُ لِٱعْتِمادِهِ عَلَيْكَ . بَلَغَ مِنَ ٱلْعُمْرِ سِنًّا توجِبُ عَلَيْهِ ٱلسَّعْيَ لِكَسْبِ رِزْقِهِ بِيَدِهِ . وَلَوْ عَرَفْتُ ، مِنْ قَبْلُ ، بِهٰذِهِ ٱلحالَةِ ، لَما قَبِلْتُ بِكَ زَوْجاً

لِأَكونَ خادِمَةً لِابْنِكَ الْكسول . إنَّ بلادَ الصّينِ واسِعَةٌ ، فلْيَذْهَبْ ولْيَسْعَ في طَلَبِ الثَّرْوَةِ . فإذا كانَ ذَكِيًّا مِقْداماً ، كَما تدَّعي ، فإنَّهُ يَنْجَحُ في حَياتِهِ ، ويَكْسِبُ مالاً كثيراً . لِيَفْعَلْ ما يَشاءُ خارِجَ الْبَيْتِ ، فلا مَكانَ لَهُ بيْنَنا .

وافَقَ والِدُ يَنْ سو على كَلامِ زَوْجَتِهِ ، لِأَنَّهُ كانَ يَخافُ مِنْها ، ويَخْضَعُ لِإرادَتِها ، ويُنَفِّذُ كُلَّ ما تَطْلُبُهُ مِنْهُ ، لِذلِكَ تَقَرَّرَ سَفَرُ يَنْ سو لِيَسْعى في الْبِلادِ وراءَ رِزْقِه .

الِاسْتِعْدادُ لِلرَّحيل

أَخَذَتِ الزَّوْجَةُ تُعِدُّ لِلْفَتى ما قَدْ يَحْتاجُ إِلَيْهِ في رِحْلَتِهِ . وعِوَضاً عَنْ أَنْ تَخيطَ لَهُ الْأَثْوابَ الْجَديدَةَ مِنَ

ٱلْأَقْمِشَةِ ٱلْجَمِيلَةِ ، ٱكْتَفَتْ بِأَنْ زَوَّدَتْهُ بِٱلْقَدِيمِ ٱلرَّثِّ مِنْها . فَلَمْ تُعْطِهِ إِلّا ٱلْمُمَزَّقَ وَٱلْمُرَقَّعَ وَٱلْمُلَوَّثَ بِٱلْأَوْساخِ وَٱلْمُقَطَّعَ ٱلْأَزْرار . وَلَمْ يَجْرُؤْ ٱلْفَتى عَلى ٱلتَّذَمُّرِ وَٱلِٱعْتِراضِ لِتَأَكُّدِهِ مِنْ أَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ يَقُولُها سَتُؤَدّي إِلى عَكْسِ ما يُرِيد . وَكانَتْ نَفْسُهُ تُحَدِّثُهُ بِأَنَّهُ يَتَوَصَّلُ ، مِنْ بَعْدُ ، بِنَشاطِهِ وَذَكائِهِ إِلى ٱلتَّغَلُّبِ عَلى كُلِّ ٱلْعَقَباتِ ٱلَّتِي تَقِفُ في طَرِيقِهِ ، وَإِلى بِناءِ مُسْتَقْبَلٍ لَهُ أَفْضَلَ مِنْ حاضِرِهِ عَلى كُلِّ حال .

لَمّا حانَ ٱلرَّحِيلُ وَرَبَطَ يَنْ سو أَمْتِعَتَهُ بِسَرْجِ حِصانِهِ ، أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ زَوْجَةُ أَبِيهِ حامِلَةً بِعِنايَةٍ قُصْوى صُنْدُوقَةً صَغِيرَةً مُذَهَّبَةً وَقالَتْ لَهُ :

— شِئْتُ أَلّا تُغادِرَ هٰذا ٱلْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ أُقَدِّمَ إِلَيْكَ هٰذِهِ ٱلْهَدِيَّةَ لِكَيْ لا تَكُونَ حاقِداً عَلَيَّ . ٱلْحَقِيقَةُ أَنّي

ما أَحبَبْتُكَ وأَنتَ هُنا في ٱلبَيْتِ لِأَنّي ٱمرَأَةٌ مُقتَصِدَةٌ ، وَزَوجي عاجِزٌ عَنْ إعالَةِ فَتى في مِثْلِ سِنِّكَ . أَمّا ٱليَوْمَ فَأَنتَ راحِلٌ ، وَحِقْدي عَلَيْكَ يَتَلاشى مَعَ رَحيلِكَ . وأُمُّكَ لَمْ تَترُكْ لَكَ شَيْئاً مِنَ ٱلمالِ ، وَأَمّا أَبوكَ فَما يَزالُ حَيّاً ، فَلا حَقَّ لَكَ إذاً في مُلْكِهِ ، فَأَنتَ ذاهِبٌ بِلا مالٍ ، وَسَتُلاقي أَيّاماً قاسِيَةً لا تَجِدُ فيها طَعاماً تَأْكُلُهُ ، وَلا بَيْتاً تَلْجَأُ إِلَيْهِ ، وَلا فِراشاً تَتَمَدَّدُ عَلَيْهِ . وَلَنْ تُحَقِّقَ بَعْضَ رَغَباتِكَ إلّا بَعْدَ شَقاءٍ طَويلٍ ، وَكِفاحٍ مَريرٍ ، وَعَذابٍ أَليمٍ ، لِذلِكَ فَكَّرْتُ في أَنَّكَ ، إذا لَمْ تَتَناوَلْ مِنَ ٱلطَّعامِ ما يَكْفيكَ يُصيبُ جِسْمَكَ ٱلهُزالُ فَتَمرَضُ ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ خَمسَمِئَةِ حَبَّةٍ مِنَ ٱلمُقَوِّياتِ . فَإذا أَحسَسْتَ بِضَعْفٍ ٱبتَلِعْ واحِدَةً مِنها ، فَتَستَعيدُ نَشاطَكَ وَهِمَّتَكَ ، وَتَشعُرُ بِأَنَّكَ قَدْ ٱنتَقَلْتَ إلى عالَمٍ آخَرَ أَفْضَلَ مِنْ عالَمِكَ هٰذا .

قالَتِ ٱلمَرْأَةُ ٱلشِّرِّيرَةُ ذٰلِكَ وَهِيَ تُخْفي ٱبْتِسامَةً ماكِرَةً بَيْنَ شَفَتَيْها ، لِأَنَّ ٱلْحُبوبَ ٱلمُقَوِّيَةَ ما هِيَ ، في ٱلْحَقيقَةِ ، سِوى حُبوبٍ مَسْمومَةٍ ، تَكْفي واحِدَةٌ مِنْها لِقَتْلِ إِنْسانٍ في أَحْسَنِ عافِيَةٍ ، وَنَقْلِهِ إِلى ٱلْعالَمِ ٱلثّاني ٱلَّذي أَشارَتْ إِلَيْهِ إِشارَةً خَبيثَةً .

تَلَقَّى يَنْسو هٰذا ٱلْكَلامَ بِٱمْتِنانٍ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّ زَوْجَةَ أَبيهِ تَقولُ ٱلْحَقيقَةَ ، وَأَنَّ قَسْوَتَها عَلَيْهِ في ٱلْماضي ما كانَتْ إِلّا لِخَيْرِهِ ، وَفي سَبيلِ بِناءِ مُسْتَقْبَلِهِ . وَما فَطِنَ إِلى ما تَكْتُمُهُ في ضَميرِها مِنْ أَذِيَّةٍ وَشَرٍّ . شَكَرَ لَها عاطِفَتَها الرَّقيقَةَ ، وَمَسَحَ دَمْعَتَيْنِ ٱنْحَدَرَتا مِنْ عَيْنَيْهِ تَأَثُّراً ، وَٱنْحَنى أَمامَ أَبيهِ طالِباً مِنْهُ ٱلْبَرَكَةَ ، وَوَدَّعَ ٱلْجيرانَ وَأَلْقى نَظْرَةً أَخيرَةً عَلى بَيْتِهِ ، ثُمَّ ٱمْتَطى جَوادَهُ وَأَطْلَقَ لَهُ ٱلْعِنانَ ..

غُبارٌ كَثيف

كانَ في وُدِّهِ ٱلتَّوَجُّهُ إلى عاصِمَةِ ٱلْمَمْلَكَةِ ٱلْقَريبَةِ مِنْهُمْ ، إلى حَيْثُ رَحَلَ مِنْ قَبْلُ عَمُّهُ ، مُؤَمِّلاً أَنْ يَجِـدَ لَدَيْهِ ما يُساعِدُهُ في حَياتِهِ ٱلْجَديـدَة . سارَ يَوْمَيْنِ كامِلَيْنِ ، لا يَقِفُ في طَريقِهِ عائِقٌ . يَشْرَبُ مِنْ مِياهِ ٱلْيَنابيـعِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ أَشْجارِ ٱلتّينِ ٱلَّتي يَنْزِلُ لِلاسْتِراحَةِ في ظِلِّهـا ، وَيَنامُ تَحْتَ ٱلْأَشْجارِ نَوْماً هَنيئـاً ، حَتّى دَخَلَ حُدودَ ٱلْمَمْلَكَةِ ٱلْمُجاوِرَةِ في نِهايَةِ ٱلْيَوْمِ ٱلثّالِثِ ، فَلاحَ لَهُ مِنْ بَعيدٍ غُبارٌ كَثيفٌ تُثيرُهُ جَماعَةٌ مِنَ ٱلْمُسافِرينَ ، فَأَخَذَتْهُ مِنْ أَمْرِهِمْ حَيْرَةٌ لِكَثْرَتِهِمْ وَلِوُجودِهِمْ في هٰذِهِ ٱلْمِنْطَقَةِ ٱلنّائِيَةِ مِنَ ٱلْبِلاد .

كانَتِ ٱلطَّريقُ خالِيَـةً ، وَلَيْسَ إلى جانِبِها بَيْتٌ أَوْ

كوخ يختبئ فيه . ولم يكن قربه سوى ثلاث أشجار ملتفة الأغصان ، غزيرة الأوراق . فقفز ين سو عن ظهر حصانه ، وعدا نحو الأشجار ، وتسلق واحدة منها حتى وصل إلى أعلاها . ولقد شق عليه أن يدع حصانه ، ولكن الغبار الذي أخذ بالاقتراب منه جعله لا يفكر إلا بنفسه . وما بلغ موضعاً مرتفعاً من الشجرة حتى أعد له ملجأ بين الأغصان ضاماً بعضها إلى بعض ، وتمدد فيه بعد أن التف بالأوراق بحيث لا يراه أحد من تحت .

دنا الغبار منه ، وأصبح في وسعه ، وهو في مكانه العالي ، أن يتبين جماعة من الرجال ، يمتطون خيولهم ، وهم مدججون بالسلاح ، وتشيع في وجوههم إمارات الشر والوحشية . فقد كانوا من قطاع الطرق الذين

يَسطونَ عَلى ٱلْمُسافِرينَ ، وَٱلنَّاسِ ٱلْآمِنِينَ ، يَسْلُبونَهُمْ كُلَّ ما يَحْمِلونَ ، ثُمَّ يَقْتُلونَهُمْ وَيَدَعونَ جُثَثَهُمْ لِلْحَيواناتِ ٱلْكاسِرَة.

وَحاوَلَ إِحْصاءَ عَدَدِهِمْ فَإِذا بِهِمْ يَبْلُغونَ خَمْسَمِئَةِ فارِس.

وَبَدا لَهُ مِنْ أَحاديثِهِمْ أَنَّهُمْ عائِدونَ مِنْ غَزْوَةٍ لَهُمْ قاموا فيها بِٱلْهُجومِ عَلى مَقَرِّ ٱلْمَلِكِ ٱلصَّيْفِيِّ في ضَواحي ٱلْعاصِمَة. فَقَدْ نَهَبوا ما وَجَدوهُ هُناكَ ، وَرَكِبوا عَلى خُيولِ ٱلْمَلِكِ ٱلْخَمْسِمِئَةِ بَعْدَ أَنْ عَلَّقوا في سُروجِها أَكْياساً مَمْلوءَةً بِٱلْأَدَواتِ ٱلْفِضِّيَّةِ وَٱلذَّهَبِيَّة.

ما وَصَلوا قُرْبَ يَنْ سو حَتَّى ٱسْتَرْعى ٱنْتِباهَهُمْ حِصانُهُ ٱلسَّارِحُ هُناكَ ، فَقالَ زَعيمُ ٱلْعِصابَةِ :

— ما أَرى ؟ هٰذِهِ هَدِيَّةٌ أُخْرى تَنْزِلُ عَلَيْنا ، هٰذِهِ ٱلْمَرَّةَ ، مِنَ ٱلسَّماء. إِلَيْكُمْ بِهٰذِهِ ٱلدَّابَّةِ ٱلَّتي تُفَضِّلُ مُشارَكَتَنا في حَياتِنا ٱلْمُغامِرَةِ عَلى ٱلْبَقاءِ في إِسْطَبْلِ صاحِبِها مُنَعَّمَة.

وَها هِيَ تَحْمِلُ إِلَيْنا أَيْضاً أَلْبِسَتَهُ وَأَطْعِمَتَهُ . فَكَمْ نَحْنُ مَحْظوظونَ ٱلْيَوْم .

ٱلْحُبوبُ ٱلْمُقَوِّيَة

ضَحِكَ ٱللُّصوصُ ضَحِكاً شَديداً لِحَديثِ زَعيمِهِم ٱلسّاخِرِ ، وَنَزَلوا عَنْ ظُهورِ جِيادِهِمْ ، وَأَمْسَكوا بِلِجامِ ٱلْحِصانِ ، وَتَفَحَّصوا ٱلثِّيابَ فَوَجَدوها في حالَةٍ زَرِيَّةٍ ، فَرَمَوْها أَرْضاً مُتَقَزِّزينَ . غَيْرَ أَنَّ ٱلصُّنْدوقَةَ ٱلْمُذَهَّبَةَ ٱلَّتي تَحْتَوي عَلى خَمْسِمِئَةِ حَبَّةٍ قَدِ ٱسْتَهْوَتْ رَئيسَهُمْ فَأَخَذَها وَنَظَرَ إِلَيْها مُتَفَحِّصاً ثُمَّ قالَ :

ــ أَقْرَأُ عَلى غِطاءِ هٰذِهِ ٱلصُّنْدوقَةِ أَنَّ فيها حُبوباً مُقَوِّيَةً . وَإِنَّنا لَتَعِبونَ بَعْدَ ما قُمْنا بِهِ مِنْ أَعْمالٍ خَطيرَةٍ ٱلْيَوْمَ . وَنَحْنُ وَإِنْ كُنّا أَغْنِياءَ ، وَكانَتْ أَكْياسُنا مَلْأَى بِٱلْفِضَّةِ


G.SAFA.

وَالذَّهَبِ ، فَلَيْسَ لَدَيْنا ما نَسُدُّ بِهِ جوعَنا . فَالرَّأْيُ أَنْ نُخَيِّمَ تَحْتَ هٰذِهِ الأَشْجارِ الثَّلاثِ وَأَنْ يَتَناوَلَ كُلٌّ مِنّا حَبَّةً مُنَشِّطَةً ، فَإِذا فاجَأَنا غَداً رِجالُ المَلِكِ وَقاتَلونا ، صَمَدْنا في وُجوهِهِمْ ، وَتَغَلَّبْنا عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ كانَتْ بُطونُنا خاوِيَةً مِنَ الطَّعامِ .

وافَقَ اللُّصوصُ عَلى رَأْيِ رَئيسِهِمْ ، وَتَناقَلوا الصُّنْدوقَةَ بَيْنَ أَيْديهِمْ ، يَأْخُذُ كُلٌّ مِنْهُمْ بِدَوْرِهِ حَبَّةً مُقَوِّيَةً . فَكانَ لِكُلِّ فارِسٍ حِصَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَ الحُبوبِ مُساوٍ لِعَدَدِهِمْ تَماماً . وَما مَرَّ قَليلٌ مِنَ الوَقْتِ حَتّى خَيَّمَ عَلى قُطّاعِ الطُّرُقِ صَمْتٌ رَهيبٌ ، فَهَدَأَتْ جَلَبَتُهُمْ ، وَصَمَتَتْ أَصْواتُهُمْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَثَرٍ لِلْحَياةِ إِلّا صَهيلُ خُيولِهِمْ الَّتي تَسْعى في السَّهْلِ القَريبِ لِالْتِقاطِ ما يَتَيَسَّرُ لَها مِنَ العُشْبِ الأَخْضَرِ .

شاهَدَ يَنْ سو هٰذِهِ الأَحْداثَ مِنْ أَعْلى الشَّجَرَةِ ، وَما

كانَ في قُدْرَتِهِ ٱلتَّدَخلُ في ٱلأَمْرِ ، وَمـــا أَسِفَ لِثيابِهِ ٱلمُمَزَّقَةِ وَٱلمُرَقَّعَةِ ، وَلٰكِنَّ فَقْـــدَ ٱلحُبوبِ ٱلمُقَوِّيَةِ أَثارَهُ وَأَحْزَنَهُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَعْرِفُ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ هِيَ ، وَمـــا طَعْمُها ، وَما فِعْلُها في آكِلِها . وَأَخَذَ يَتَحَدَّثُ إلى نَفْسِهِ وَيقول :

ـــ إِنَّ ٱلمُسْتَقْبَلَ مُظْلِمٌ أَمـــامي، وَسَأَجوعُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِرَّ بي ٱلحالُ وَأَجِدَ عَمَلاً أَكْسَبُ بِهِ عَيْشي . وَهٰـــذِهِ ٱلحُبوبُ كانَتْ كافِيَـــةً لِسَدِّ جوعي ، وَبَعْثِ ٱلنَّشاطِ في جِسْمي ، وَهٰؤُلاءِ ٱللُّصوصُ قَدِ ٱبْتَلَعوها ، فَهِيَ تَزيدُهُمْ قُوَّةً عَلى قُوَّةٍ في إِحْداثِ ٱلشَّرِّ ، وَفي مُقاتَلَةِ جُنودِ ٱلمَمْلَكَةِ . وَلٰكِنْ مـا ٱلحيلَةُ ؟ وَما أَنا فاعِلٌ وَهُمْ أَقْوِياءُ ؟ لَقَدْ ضـاعَتْ جُهودُ زَوْجَةِ أَبي سُدًى ، وَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ تَعَبِها .

مُفاجأةُ الصَّباح

سَهِرَ يَنْ سو طولَ اللَّيْلِ ، مُصغِياً ، مُرتَعِشاً مِنَ البَرْدِ وَالخَوْفِ ، مُحاذِراً أَنْ يُنَبِّهَ إِلَيْهِ اللُّصوصَ ، أَوْ أَنْ يُغلِقَ النُّعاسُ عَيْنَيْهِ فَيَسْقُطَ مِنْ رَأْسِ الشَّجَرَةِ بَيْنَ أَيْدي القَتَلَة . وَلٰكِنَّ اللَّيْلَ انْقَضى ، وَغابَتِ النُّجومُ ، وَظَهَرَتْ أَنْوارُ الفَجْرِ ، ثُمَّ مَلأَ ضَوْءُ النَّهارِ السَّهْلَ كُلَّهُ ، وَما سَمِعَ مِنَ النّائِمينَ صَيْحَةً ، أَوْ صَوْتاً . فَأَبْعَدَ ، في حَذَرٍ شَديدٍ ، بَعْضَ الأَوْراقِ مِنْ أَمامِ عَيْنَيْهِ ، وَنَظَرَ إِلى أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ فَوَجَدَ اللُّصوصَ نائِمينَ في هُدوءٍ وَسُكونٍ عَجيبَيْن . وَكانَتْ خُيولُهُمْ تَصْهَلُ ، أَوْ تَتَرافَسُ ، وَهِيَ في مَرَحٍ بَعْدَ أَنِ اسْتَراحَتْ مِنْ عَناءِ السَّفَر .

وَتابَعَ يَنْ سو يَقولُ في نَفْسِه :

ــ ترى كيفَ ينامُ هؤلاءِ على صهيلِ ٱلْخَيْلِ ؟ أَتُولِّدُ ٱلْحُبوبُ ٱلْمُنَشِّطَةُ مَيْلاً إِلى ٱلنُّعاسِ ؟ أَمْ أَنَّ ٱلرِّجالَ قَدْ تَعِبوا في أَمْسِهِمْ إِلى دَرَجَةِ أَنَّهُمْ ما يَزالونَ في حاجَةٍ إِلى ٱلاِسْتِمْرارِ في ٱلنَّوْمِ ؟

مَرَّتْ ساعاتٌ أُخْرى ، وَٱشْتَدَّ صَهيلُ ٱلْخَيْلِ ، وَٱرْتَفَعَتِ ٱلشَّمْسُ في ٱلْأُفُقِ ، وَما تَحَرَّكَ أَحَدٌ مِنَ ٱلرّاقِدينَ . فَبَدَأَ ٱلشَّكُّ يُساوِرُ يَنْ سو ، وَأَخَذَ يُحاوِلُ ٱلْخُروجَ مِنْ مَخْبَئِهِ وَٱلِانْزِلاقَ مِنْ غُصْنٍ إِلى غُصْنٍ . وَكانَ يَتَوَقَّفُ ، حيناً بَعْدَ آخَرَ ، وَيَنْظُرُ إِلى ما تَحْتَهُ ، فَيَجِدُ ٱلنّائِمينَ ما يَزالونَ في جُمودِهِمْ . وَلَمّا ٱقْتَرَبَ مِنَ ٱلْأَرْضِ حَدَّقَ فيهِمْ وَقَدْ سَطَعَتِ ٱلشَّمْسُ بِأَنْوارِها عَلى وُجوهِهِمْ ، فَوَجَدَهُمْ مُتَيَبِّسينَ ، وَعَلى حِفافَيْ شِفاهِهِمْ لَطْخَةٌ خَضْراءُ ، فَقالَ في نَفْسِهِ :

ــ إنَّهُمْ لَأَمْوات ؟؟ أَهٰذا فِعْلُ ٱلْحبوبِ ٱلَّتِي قيلَ لي إنَّها مِنَ ٱلْمُقَوِّيات ؟ لا . لا. إنّي لَأَظْلُمُ تِلْكَ ٱلْمَـــرْأَةَ ٱلَّتِي أَرادَتِ ٱلْإِحْسانَ إِلَيَّ فَأَعطَتْني ٱلصُّنْدوقَـة .. لا أُصَدِّقُ ما يَمُرُّ في خاطِري .. وَمَعَ ذٰلِك .. مَعَ ذٰلِكَ فَهُمْ جَميعاً أَمْوات .

هَبَطَ يَنْ سو مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ، مُمَزَّقَ ٱلنَّفْسِ شَكّاً وَرُعْباً ، وَٱقْتَرَبَ مِنَ ٱلرِّجالِ ٱلْمُمَدَّدينَ أَمامَ نَظَرِه : خَمْسِمِئَةِ لِصٍّ في يُبوسَـةِ ٱلْحَطَبِ ، تَنْظُرُ عُيونُهُمْ ٱلْجامِدَةُ في ٱلْفَضاءِ ، لِأَنَّ ٱلْحُبوبَ ، كَما قالَتْ لَهُ زَوْجَةُ أَبيهِ ، تَنْقُلُ ٱلْآكِلَ مِنْها إِلى عالَمٍ آخَر ..

سَجَدَ يَنْ سو عَلى ٱلْأَرْضِ ، وَصَلّى صَلاةً حارَّةً ، مِنْ أَعْماقِ قَلْبِهِ ، ثُمَّ وَقَفَ وَقَدْ مَلَأَتِ ٱلسَّكينَةُ نَفْسَه . وَقَبَضَ عَلى ٱلْجِيادِ واحِداً واحِداً ، وَرَبَطَها جَماعاتٍ مِنْ عَشْرَةِ

رُؤوسٍ ، وَدَفَعَ بِها أَمامَهُ ، في قافِلَةٍ ، بَعْدَ أَنِ ٱمْتطى ظَهْرَ حِصانِهِ ، وَأَسْرَعَ في ٱلسَّيْرِ بِحَيْثُ وَصَلَ عاصِمَةَ ٱلمَمْلَكَةِ قَبْلَ غِيابِ ٱلشَّمْسِ .

يَنْ سو في قَصْرِ ٱلْمَلِكِ

ما كادَ يَدْخُلُ ٱلْمَدينَةَ حَتّى وَجَدَها في غَلَيانٍ ، لِأَنَّ هُجومَ قُطّاعِ ٱلطُّرُقِ عَلى مَقَرِّ ٱلْمَلِكِ ٱلصَّيْفِيِّ قَدْ أَثارَ ٱلْخَوْفَ فيها . خَرَجَ ٱلْجُنودُ مِنَ ٱلْقِلاعِ ، وَساروا في ٱلشَّوارِعِ يَقْرَعونَ ٱلطُّبولَ . وَتَسَلَّحَ ٱلنّاسُ وَتَجَمَّعوا أَمامَ أَبْوابِ مَنازِلِهِمْ ، فَلَمّا رَأَوْا يَنْ سو مَعَ قَطيعِ ٱلْخَيْلِ سَأَلوهُ عَنْ أَمْرِهِ فَأَبى ٱلْكَشْفَ عَنْ سِرِّهِ ، بَلْ أَلَحَّ في ٱلْوُصولِ إِلى ٱلْمَلِكِ ، فَساروا أَمامَهُ إِلى ٱلْمَقَرِّ ٱلعام . وَكانَ ٱلْخَبَرُ قَدْ بَلَغَ ٱلْمَلِكَ بِأَنَّ رَجُلاً بِمُفْرَدِهِ يَقودُ ٱلْجِيادَ ٱلْمَسْروقَةَ

ٱلْمُحَمَّلَةَ بِأَكْياسٍ مِنَ ٱلفِضَّةِ وَٱلذَّهَبِ ، وَبِأَنَّهُ مُتَّجِهٌ نَحْوَهُ .

فَخَرَجَ ٱلْمَلِكُ وَزَوْجَتُهُ وَرِجالُ حاشِيَتِهِ إِلى حَديقَةِ ٱلْقَصْرِ في ٱنْتِظارِ قُدومِ ٱلرَّجُلِ ٱلْغَريبِ ، وَما ٱقْتَرَبَ يَنْ سو مِنَ ٱلْمَلِكِ حَتّى تَرَجَّلَ وَٱنْحَنى أَمامَهُ قائِلاً :

— إِسْمَحْ يا مَوْلايَ لي ، أَنا ٱلْفَتى ٱلدَّخيلَ في مَمْلَكَتِكَ ، بِأَنْ أُعَبِّرَ لَكَ وَلِأُسْرَتِكَ ٱلْكَريمَةِ عَنِ ٱحْتِرامي وَإِخْلاصي .

فَقالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ مُتَلَطِّفاً :

— تَكَلَّمْ أَيُّها ٱلْغَريبُ .. أَأَنْتَ ٱلَّذي سَرَقْتَ خُيولي هٰذِهِ مِنْ مَقَرِّيَ ٱلصَّيْفِيِّ ؟

قالَ يَنْ سو وَقَدِ ٱحْمَرَّ خَدّاهُ غَضَباً لِهٰذِهِ ٱلتُّهْمَةِ :

— في بِلادِنا ، يا مَوْلايَ ، مَثَلٌ قَديمٌ يَقولُ : يَجِبُ ٱلتَّمْييزُ بَيْنَ مَنْ يَأْخُذُ وَمَنْ يُعْطي . وَأَعْتَقِدُ أَنَّ جَلالَتَكَ تَعْرِفُ هٰذا



ٱلْمَثَلَ وَتُطَبِّقُهُ في تَصَرُّفِكَ ، فَٱسْتَمِعْ إلى رِوايَتي، فَهِيَ وَحْدَها تَكْشِفُ لَكَ ٱلْحَقيقَةَ .

قَصَّ ٱلْفَتى خَبَرَهُ مُنْذُ مُغادَرَتِهِ مَنْزِلَ أَبيهِ ، وَرَوى ما جَرى لَهُ مِنَ ٱلْحَوادِثِ ، وَما تَمَّ لَهُ مَعَ قُطّاعِ ٱلطُّرُقِ . وَلَمْ يُخْفِ عَنْهُ أَمْرَ ٱلْحُبوبِ ٱلْمُقَوِّيَةِ ٱلَّتي أَعْطَتْهُ إِيّاها زَوْجَةُ أَبيه .

بَدا ٱلْأَمْرُ عَجيباً ، لا يُصَدَّقُ ، وَظَنَّ ٱلْمَلِكُ أَنَّ ٱلْفَتى يَنْسو مُتَواضِعٌ ، وَأَنَّهُ قَدِ ٱخْتَرَعَ قِصَّةَ ٱلْحُبوبِ ٱلْمُنَوِّمَةِ ٱلْقاتِلَةِ لِيُخْفِيَ حَقيقَةَ بُطولَتِهِ وَفَتْكِهِ بِٱللُّصوصِ وَحْدَهُ بِلا مُساعَدَةَ . وَقالَ في نَفْسِهِ :

ــ ٱلْحَقيقَةُ ٱلَّتي تَتَراءى لي هِيَ أَنَّ ٱللُّصوصَ ٱلْخَمْسَمِئَةِ قَدْ سَقَطوا تَحْتَ ضَرَباتِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ ، كَعادَةِ ٱلْأَبْطالِ ٱلْحَقيقِيّينَ ، يَنْسُبُ ٱلْفَضْلَ إلى ٱلْمَقاديرِ ، لِذٰلِكَ يَجِبُ أَنْ أُجْزِلَ

ٱلْعطاء لَهُ .

في هٰذِهِ ٱلْأَثْناء بِٱلذَّاتِ وَصَلَ أَحدُ ٱلْجُنودِ ، ونقَلَ لِلْمَلِكِ خبَرَ ٱلْعُثورِ على جُثَثِ ٱللُّصوصِ في ٱلْمَكانِ ٱلَّذي أَشارَ إِلَيْهِ يَنْ سو . فَمَدَّ ٱلْمَلِكُ يَدَهُ نَحْوَ ٱلْفَتى مُصافِحاً وَقالَ لَهُ :

ــ إِنَّكَ لَرَجُلٌ شُجاعٌ تَسْتَحِقُّ مَقاماً رَفيعاً في بَلاطي . فَلَسْتُ أَرْضى ، بَعْدَ ٱلْآنَ ، بِأَنْ تُغادِرَ ٱلْقَصْرَ ، بَلْ تَبْقى مَعي مُنَعَّماً بِٱلْأَوْسِمَةِ ٱلرَّفيعَةِ وَٱلْمَراكِزِ ٱلسَّامِيَةِ ، وَتَسيرُ في ٱلْحَفَلاتِ ٱلرَّسْمِيَّةِ إِلى جانِبي أُسْوَةً بِٱلْأُمَراءِ وَكِبارِ ٱلدَّوْلَة . وَتُقيمُ في ٱلْقَصْرِ ٱلَّذي تَراهُ هُناكَ مَسْقوفاً بِٱلْقِرْميدِ ٱلْأَحْمَرِ ، وَتَتَناوَلُ مُرَتَّباً كَبيراً بِحَيْثُ تَعيشُ حَياةً مُتْرَفَةً وَسَعيدَةً .

بَيْنَما كانَ يَنْ سو يُكْثِرُ مِنَ ٱلِانْحِناءِ إِجْلالاً وَدَهْشَةً ،



ٱسْتَدْعى ٱلْمَلِكُ ٱلْمُنادينَ وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يُذيعوا ٱلنَّبأَ في ٱلْمَدينَةِ وَبِأَنْ يُخْبِروا ٱلْقاصي وَٱلدّاني بِما أَقْدَمَ عَلَيْهِ ٱلْفَتى مِنْ أَعْمالِ ٱلشَّجاعَةِ وَٱلْفُروسِيَّةِ . وَمُنْذُ ذٰلِكَ ٱلْحينِ بَدَأَ يَنْ سو حَياةً جَديدَةً ما كانَ لِيُفَكِّرَ بِمِثْلِها مِنْ قَبْل . غَيْرَ أَنَّ ٱلسَّعادَةَ ٱلَّتي غَمَرَتْهُ لَمْ تُفْقِدْهُ فَضيلَةَ ٱلتَّواضُعِ ، بَلْ حافَظَ عَلى ٱتِّزانِهِ وَصِدْقِهِ ، وَثابَرَ عَلى خِدْمَةِ ٱلْمَلِكِ ، مُحاوِلاً قَدْرَ ٱسْتِطاعَتِهِ ، ٱلْإِخْلاصَ في خِدْمَتِهِ عِرْفاناً بِجَميلِهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِ . وَكانَ يُفَكِّرُ أَحْياناً بِٱلْأَحْداثِ ٱلَّتي أَوْصَلَتْهُ إِلى ما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ثَرْوَةٍ وَنُفوذٍ قَوِيٍّ ، وَتَمُرُّ في خاطِرِهِ ٱلْحُبوبُ ٱلْمُقَوِّيَةُ ٱلَّتي أَعَدَّتْها لَهُ زَوْجَةُ والِدِهِ لِتَقْتُلَهُ فَأَدَّتْ بِهِ مِنْ حَيْثُ لا تُريدُ إِلى عالَمٍ جَديدٍ مِنَ ٱلسَّعادَةِ ٱلْحَقيقيَّةِ ، لِذٰلِكَ أَرْسَلَ إِلَيْها يَوْماً بِعِقْدٍ نَفيسٍ مِنْ خَمْسِمِئَةِ لُؤْلُؤَةٍ مُكافَأَةً لَها عَلى صَنيعِها مَعَهُ .

حَسَدُ ٱلْأَعداء

يَكثُرُ ٱلْحُسّادُ في كُلِّ مَكان. يُثيرُ نُفوسَهُمْ ما يَرَوْنَهُ مِنْ سَعادَةِ ٱلْآخَرين. وَقَدْ أُصيبَ يَنْ سو بِما أُصيبَ بِهِ سِواهُ مِنَ ٱلّذينَ بَلَغوا ٱلْمَراتِبَ ٱلْعالِيَة. تَأَلَّبَ عَلَيْهِ ٱلْحُسّادُ مِنْ رِجالِ ٱلْبَلاطِ، فَكانوا يَقولونَ فيما بَيْنَهُم:

ــ عَلَيْنا بِٱلتَّخَلُّصِ مِنْ هٰذا ٱلْغَريب.. لَمْ يَكْتَفِ ٱلْمَلِكُ بِما أَغْدَقَ عَلَيْهِ مِنْ مالٍ وَنُفوذٍ، بَلْ فَضَّلَهُ عَلَيْنا وَعَهِدَ إِلَيْهِ في أَرْفَعِ ٱلْمُهِمّاتِ وَٱلْوَظائِف. وَلا سَبيلَ إِلى ٱلْخَلاصِ مِنْهُ إِلّا بِقَتْلِهِ، وَإِلّا فَإِنَّهُ سَيَبْقى عَقَبَةً في طَريقِ تَقَدُّمِنا.

أَخَذَ أَعْداؤُهُ بِٱلتَّآمُرِ عَلَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَجْرُؤوا عَلى مُهاجَمَتِهِ مُباشَرَةً لِقُرْبِهِ مِنَ ٱلْمَلِكِ، وَلِحُبِّ ٱلشَّعْبِ لَهُ، فَاكْتَفَوْا بِأَنْ أَخَذوا يُحَذِّرونَ ٱلْمَلِكَ مِنْ تَقديمِ رَجُلٍ غَريبٍ،

مَجْهولِ ٱلْأَصْلِ ، وَكانوا يَقولون :

ــ إِنَّ قَتْلَ ٱللُّصوصِ لَيْسَ دَليلاً عَلى شَجاعَةٍ خارِقَة . لَوْ أَنَّهُ هاجَمَهُمْ مُواجَهَةً وَبِمُفْرَدِهِ لَٱعْتَرَفْنا لَهُ بِٱلْبَأْسِ وَٱلْقُوَّة . إِذا كانَ جَريئاً وَشُجاعاً ، كَما تَعْتَقِدُ يا مَوْلانا ، لِيَذْهَبْ وَلْيُقاتِلِ ٱلْأَسَدَ ٱلْكَبيرَ ٱلَّذي يَعيثُ في ٱلْمَمْلَكَةِ فَساداً وَيَفْتِكُ بِٱلْغَنَمِ وَٱلْمِعْزى وَجَميعِ أَنْواعِ ٱلْماشِيَة . إِذا ٱنْتَصَرَ عَلَيْهِ وَقَتَلَهُ لا نَعْتَرِضُ عَلى وُجودِهِ بَيْنَنا ، وَعَلى إِعْطائِهِ تاجَ ٱلْمُلْكِ ..

ٱمْتِحانُ يَنْ سو

تَرَدَّدَ هٰذا ٱلْكَلامُ عَلى مَسْمَعِ ٱلْمَلِكِ مَرّاتٍ وَمَرّاتٍ ، حَتّى بَدَأَ هُوَ نَفْسُهُ يَشُكُّ في جُرْأَةِ يَنْ سو ، وَحَتّى فَكَّرَ في أَنْ يَخْتَبِرَ قُوَّتَهُ وَشَجاعَتَهُ . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ صَباحَ

يَوْمٍ وَقالَ لَهُ :

ــ إنَّ مَحَبَّتي لَكَ تُثيرُ ٱلْحَسَدَ في قُلوبِ رِجالي ، وَهُمْ يَرْغَبونَ إلَيَّ في أَنْ أَمْتَحِنَ صَبْرَكَ وَبَأْسَكَ وَعَزيمَتَكَ وَإِخْلاصَكَ لي .

قالَ ٱلْفَتى وَهُوَ يُقَبِّلُ يَدَ ٱلْمَلِكِ :

ــ ما عَلَيْكَ إلّا أَنْ تَأْمُرَني بِما تُريدُ يا مَوْلايَ ، وَإِنّي لَباذِلٌ ما في وُسْعي لِأُوَكِّدَ لَكَ ٱمْتِناني وَمَحَبَّتي لَكَ .

قالَ ٱلْمَلِكُ :

ــ عَلَيْكَ بِٱلذَّهابِ لِقِتالِ ٱلْأَسَدِ ٱلْكَبيرِ ٱلَّذي يَنْشُرُ ٱلرُّعْبَ في جَميعِ أَنْحاءِ مَمْلَكَتي ، وَلا يَجْرُؤُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْفُرْسانِ ٱلْأَبْطالِ عَلى مُنازَلَتِهِ وَإِهْلاكِهِ لِأَنَّهُ مِنَ ٱلضَّخامَةِ وَٱلشَّراسَةِ بِحَيْثُ أَصْبَحَ مِنَ ٱلْمُسْتَحيلِ ٱلتَّخَلُّصُ مِنْهُ . إِنَّ بِلادي تَعيشُ في جَوٍّ مِنَ ٱلرُّعْبِ لا مَثيلَ لَهُ في تاريخِها .

إصْفَرَّ وَجْهُ يَنْ سو ، وَحاوَلَ جُهْدَهُ إخْفاءَ ما اعْتَراهُ مِنِ اضْطِرابٍ داخِلِيٍّ ، غَيْرَ أَنَّهُ تَمالَكَ نَفْسَهُ وَاحْتَفَظَ بِهُدوئِهِ وَرَباطَةِ جَأْشِهِ وَقالَ بِخُضوعٍ :

ـ إِنّي لَعَلى اسْتِعْدادٍ لِمِثْلِ هٰذِهِ الْمُهِمَّةِ يا مَوْلاي ..

تَأَثَّرَ الْمَلِكُ مِنْ جَوابِ الْفَتى تَأَثُّراً عَميقاً وَقالَ :

ـ ما شَكَكْتُ قَطُّ في مَوْقِفِكَ يا صَديقي .. وَلٰكِنْ إِصْغِ إِلَيَّ جَيِّداً ، إِنَّ رِجالي يَطْلُبونَ مِنْكَ الذَّهابَ لِمُقاتَلَةِ الْأَسَدِ وَلَيْسَ مَعَكَ مِنَ السِّلاحِ سِوى وَتِدٍ مِنَ الْخَشَبِ رَهيفِ الْحَدِّ . وَكُنْتُ أَوَدُّ أَنْ يُسْمَحَ لَكَ بِسَيْفٍ أَوْ رُمْحٍ ، أَوْ ما يُشْبِهُهُما ، غَيْرَ أَنَّ وُزَرائي أَبَوْا تَلْبِيَةَ رَغْبَتي ، وَقالوا إِنَّ شَجاعَتَكَ تَكونُ أَكْثَرَ بُروزاً وَأَسْطَعَ تَأَلُّقاً إِذا اكْتَفَيْتَ بِوَتِدٍ خَشَبِيٍّ في مَعْرَكَتِكَ الْمُقْبِلَةِ . فَإِذا تَيَسَّرَ لَكَ النَّصْرُ نَظَرَ إِلَيْكَ جَميعُ سُكّانِ الْبِلادِ

نِظْرَةَ إعجابٍ لا مَثيلَ لها . فَهَـلْ أنتَ مُسْتَعِدٌّ لِهٰذِهِ ٱلتَّضْحِيَة ؟

قالَ يَنْسو وَقَدِ ٱشْتَدَّ ٱصْفِرارُ وَجْهِهِ ، وَكادَ يَسْقُطُ مُغْشِيًّا عَلَيْه :

ــ أَجَلْ يا مَوْلاي ... أَنا مُسْتَعِدّ .

فَوَقَفَ ٱلْمَلِكُ وَتَقَدَّمَ مِنَ ٱلْفَتى وَعانَقَهُ وَقال :

ــ إذْهَبْ يا صَديقي .. إنَّ ٱلْأَسَدَ هُوَ ٱلْآنَ غَرْبِيَّ ٱلْبِلادِ ، عَلى مَسيرَةِ نَهارٍ مِنَ ٱلْعاصِمَة . وَجَوادُكَ في ٱنْتِظارِكَ في ساحَةِ ٱلْقَصْرِ ، وَٱلْوَتِدُ مُعَلَّقٌ بِٱلسَّرْجِ ، وَإنّي في ٱنْتِظارِ عَوْدَتِكَ مُنْتَصِراً وَمُعافى .

قِتالُ ٱلْأَسَد

حالَتِ ٱلدُّموعُ دونَ ٱسْتِرْسالِ ٱلْمَلِكِ في كَلامِهِ ، فَخَرَجَ

يَنْ سو مُتَعَثِّرَ ٱلْخُطُواتِ كَأَنَّهُ سِكِّيرٌ قَدْ أَفْقَدَتْـهُ ٱلْخَمْرُ صَوابَهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلى ساحَةِ ٱلْقَصْرِ ، وَٱمْتَطى ٱلْجَوادَ وَٱبْتَعَدَ عَنِ ٱلْمَدينَةِ مُسْرِعاً ، وَكانَ يَقولُ في نَفْسِهِ :

ــ لَقَدْ ٱنْتَهَتْ حَياتي أَسْوَأَ نِهايَةٍ .. ما سَعُدْتُ فيها إِلَّا أَيّاماً قَليلَةً لِأَفْقُدَها نِهائِيًّا .. أَيُّ بُؤْسٍ أَنا فيـه ؟ لَيْسَ لَدَيَّ ما أَدْفَعُ بِهِ ٱلْمَوْتَ عَنْ نَفْسي إِلَّا هٰذا ٱلْوَتَدُ ٱلرَّهيفُ ٱلْحَدِّ ، أَيْ لا شَيْءَ .. إِنَّهُمْ يُريدونَ قَتْـلي ، ما في ٱلْأَمْرِ شَكٌّ . أَيُّ مَوْتٍ مُحَتَّمٍ يَنْتَظِرُني بَعْدَ أَميـال ؟ يا إِلٰهي ، أَمِدَّني بِعَوْنِكَ ؟

بَيْنَما تَجولُ هٰذِهِ ٱلْأَفْكارُ في رَأْسِهِ كانَ ٱلْجَوادُ يُسْرِعُ ٱلْعَدْوَ نَحْوَ ٱلْغَرْبِ ، حَتّى يَصِلَ بِهِ بَعْدَ ساعاتٍ مَعْدودَةٍ إِلى ٱلْمَكانِ ٱلَّذي عُيِّنَ لَهُ . فَما كادَ يَبْلُغُهُ حَتّى سَمِعَ زَئيراً مُرْعِباً وَمُفاجِئاً بِحَيْثُ أَنَّ ٱلْجَوادَ ٱضْطَرَبَ ٱضْطِراباً

شَديداً وَتَراجَعَ بِسُرْعَةٍ إلى ٱلْوَراءِ ، فَسَقَطَ يَنْ سو عَنْ ظَهْرِهِ ، مُتَدَحْرِجاً عَلى ٱلتُّرابِ عَلى قَيْدِ أَقْدامٍ مِنَ ٱلْأَسَدِ ٱلْهائِلِ . وَٱنْطَلَقَ ٱلْحِصانُ هارِباً بِنَفْسِهِ في ٱلسَّهْلِ مُبْتَعِداً عَنِ ٱلْخَطَرِ .

نَظَرَ ٱلْفَتى حَوْلَهُ وَٱلْخَوْفُ يَكادُ يُخْمِدُ أَنْفاسَهُ ، فَأَبْصَرَ فَوْقَ رَأْسِهِ ، قَريباً مِنْهُ ، غُصْنَ شَجَرَةٍ فَرَفَعَ ذِراعَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ وَوَثَبَ عَنِ ٱلْأَرْضِ مُتَّجِهاً نَحْوَهُ ، فَإذا بِٱلْأَسَدِ ، في ٱللَّحْظَةِ نَفْسِها ، يَقْفِزُ عَلَيْهِ وَيَهْبِطُ بِجِسْمِهِ ٱلثَّقيلِ فَيَقَعُ عَلى ٱلْأَرْضِ حَيْثُ كانَ يَنْ سو مُنْذُ ثانِيَةٍ واحِدَةٍ .

لَمْ يَكُنِ ٱلْغُصْنُ ٱلَّذي تَمَسَّكَ بِهِ يَنْ سو عالِياً ، فَرَفَعَ ٱلْأَسَدُ رَأْسَهُ ، وَنَفَشَ عُفْرَتَهُ غَضَباً وَأَلَماً ، وَٱلشَّرَرُ يَتَطايَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَزَئيرُهُ يَمْلَأُ ٱلْأَرْجاءَ ، وَفَتَحَ فَمَهُ

كَأَنَّهُ يُرِيدُ ٱلْتِهامَ فَرِيسَتِهِ . وَكانَ يَنْ سو في حالَةٍ مِنَ ٱلذُّعْرِ تَكادُ تَقْضي عَلَيْهِ ، فَتَشَبَّثَ بِٱلْغُصْنِ ، وَأَمْسَكَ بِهِ جَيِّداً بِيَدَيْهِ ٱلاثْنَتَيْنِ خَوْفاً مِنَ ٱلْوُقوعِ ، فَسَقَطَ مِنْهُ ٱلْوَتِدُ ٱلرَّهيفُ ٱلْحَدِّ . وَكانَ ٱلْأَسَدُ فاغِراً فَمَهُ فَوَقَعَ ٱلْوَتِدُ في حَلْقِهِ وَغَرَزَ في بُلْعومِهِ . ذُهِلَ ٱلْحَيَوانُ ٱلْمُفْتَرِسُ لِلْمُفاجَأَةِ ، وَأَحَسَّ بِأَنْفاسِهِ تَتَقَطَّعُ فَنَسِيَ فَرِيسَتَهُ، وَحاوَلَ ٱلتَّخَلُّصَ مِنَ ٱلْوَتِدِ ٱلْعالِقِ في حَلْقِهِ ، وَهُوَ يَزْدادُ ٱنْغِرازاً فيهِ . وَأَخَذَ يَتَقَلَّبُ عَلى ٱلتُّرابِ ، وَزَئيرُهُ يَتَعالى وَيَشْتَدُّ دَقيقَةً بَعْدَ أُخْرى .

كانَ يَنْ سو يُشاهِدُ في رُعْبٍ لا يوصَفُ تَخَبُّطَ ٱلْأَسَدِ وَمُحاوَلَتَهُ ٱلْفاشِلَةَ ، وَكانَ يُصَلّي في أَعْماقِ قَلْبِهِ إِلى رَبِّهِ لِيُنْقِذَهُ مِنْ مِحْنَتِهِ . وَكانَ سُكّانُ ٱلْقُرى ٱلْمُجاوِرَةِ يَخْتَبِئونَ في مَنازِلِهِمْ وَقَدْ أَقْفَلوا أَبْوابَهُمْ ، وَٱلْحَيَواناتُ

قَدْ سُمِّرَتْ في مَواضِعِها لا تَجْرُؤُ عَلى ٱلْهَرَبِ كَأَنَّها قَدْ فَقَدَتْ قُوَّةَ ٱلْحَرَكَةِ ... كُلُّ مَخْلوقٍ حَيٍّ في تِلْكَ ٱلْمِنْطَقَةِ يُحِسُّ بِٱلْمَوْقِفِ ٱلرَّهيبِ ، وَيَسْمَعُ مِنْ بَعيدٍ أَصْداءَ ٱلْمَعْرَكَةِ ٱلضّارِيَة .

مَوْتُ ٱلْأَسَد

لَمّا أَقْبَلَ ٱلْمَساءُ كانَ ٱلْأَسَدُ قَدْ لَفَظَ أَنْفاسَهُ ٱلْأَخيرَةَ ، وَسَكَنَتْ حَرَكَتُهُ ، وَأَصْبَحَ جِسْماً بارِداً مُمَدَّداً عَلى ٱلْأَرْض. إِنْزَلَقَ يَنْسو مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ، وَسارَ مُتَوَجِّهاً نَحْوَ ٱلعاصِمَة . وَفي طَريقِهِ صادَفَ عَدَداً مِنَ ٱلْفَلّاحينَ فَأَخْبَرَهُمْ بِنَتيجَةِ ٱلْمَعْرَكَةِ ، فَسُرّوا بِهِ ، وَتَناقَلوا ٱلنَّبَأَ ، وَقَرَعوا ٱلطُّبول فَرَحاً . وَشاعَ ٱلْخَبَرُ في كُلِّ مَكانٍ ، فَخَرَجَ ٱلنّاسُ يَحْتَفونَ بِمَقْدَمِهِ ، وَيَتَغَنَّوْنَ بِبُطولَتِهِ لِأَنَّهُ أَنْقَذَهُمْ

مِنْ عَدُوٍّ لَدودٍ فَتَكَ بِهِمْ وَبِمَواشيهِم . وَما زالَ سائِراً ، مُجتازاً ٱلْبِلادَ إلى أَنْ وَصَلَ إلى ٱلْعاصِمَةِ فَتَلَقَّاهُ ٱلْمَلِكُ مُرَحِّباً وَمُهَنِّئاً بِٱلسَّلامَةِ ، وَعانَقَهُ وَقالَ لَهُ :

ــ يا بُنَيَّ !! لَقَدْ رَجَعْتَ مُنْتَصِراً لِأَنَّ شَجاعَتَكَ لا مَثيلَ لَها في مَمْلَكَتي . أَعَدْتَ إِلَيْنا ٱلسَّلامَ وَأَرْجَعْتَ إلى ٱلْفَلّاحينَ ٱلطُّمَأْنينَةَ ، وَإِلى ٱلْحُقولِ ٱلْخِصْبَ . وَإِنّي لَأَوَدُّ أَنْ أُكافِئَكَ عَلى صَنيعِكَ هٰذا بِأَنْ تَذوقَ مَعي سَعادَةَ شَعْبي ٱلْمُخْلِص . لَيْسَ لَدَيَّ صَبِيٌّ أُوَرِّثُهُ ٱلْعَرْشَ ، لِذٰلِكَ سَتَكونُ أَنْتَ وَريثي وَخَلَفي ، وَسَأُزَوِّجُكَ مِنِ ٱبْنَتي نورِ ٱلْفَجْرِ ٱلَّتي رَبَّيْتُها أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ فَٱمْتازَتْ بِخُلُقِها وَجَمالِها وَعِلْمِها . فَإِذا أَغْمَضْتُ عَيْني وَذَهَبْتُ مِنْ هٰذا ٱلْعالَمِ تَتَسَلَّمُ قِيادَةَ بِلادي مِنْ بَعْدي فَتَحْميها بِشَجاعَتِكَ .

هٰذا ما حَدَثَ فِعْلاً ، فَإِنَّ ٱلتَّاريخَ ما يَزالُ يَذْكُرُ إلى ٱلْآنَ أَنْباءَ يَنْسو ٱلَّذي كانَ في عَصْرِهِ مِثالَ ٱلْمَلِكِ ٱلْعادِلِ ٱلشُّجاع .

شجرة اللوبياء

أَحْزانُ ٱلْمَزْرَعَة

في وادٍ أَخضرَ جميلٍ أَنشأَ أَحدُ ٱلفلّاحين مَزْرَعَةً صَغيرةً ، وَبنى فيها بَيْتاً مُتواضِعاً ، وَحرثَ ٱلأَرْضَ ، وَٱشترى بقرةً لِيفيدَ مِنْ لَبنِها . وَأَخذ يَعملُ بنشاطٍ مِنَ ٱلفجْرِ إلى غِيابِ ٱلشَّمْسِ لِيُؤَمِّنَ لِزَوْجتِهِ وَٱبنِهِ وَلِنفْسِهِ ما يَحْتاجونَ إلَيْهِ مِنْ طَعامٍ وَلِباس . وَكانَتْ زَوْجَتُهُ لَطيفَةَ ٱلمَعْشَرِ ، دائِمَةَ ٱلاِبْتِسامِ ، تَعْمَلُ إلى جانِبِهِ بِلا مَلَلٍ أَوْ تَذَمُّر . وَكانَ ٱبْنُهُ جاكو صَغيرَ ٱلسِّنِّ ، في ٱلعاشِرَةِ مِنْ عُمْرِهِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ يَقودُ ٱلبَقَرَةَ إلى ٱلمَرْعى ، وَيُعْنى بِنظافَتِها وَشَرابِها وَطَعامِها ، وَيَعودُ بِها في ٱلمَساءِ إلى ٱلزَّريبَةِ في ٱلمَزْرَعَة .

مَضَتِ ٱلْأَيّامُ هانِئَةً ، لا يُعَكِّرُ عَلى ٱلْفَلّاحِ وَأُسْرَتِهِ صَفْوَ ٱلْحَياةِ مُعَكِّرٌ ، بَلْ يَعيشونَ في عَمَلٍ دائِمٍ ، وَقَناعَةٍ مُريحَةٍ ، إِلى أَنْ أُصيبَ ٱلْفَلّاحُ يَوماً بِداءٍ خَفِيٍّ وَخَطيرٍ ذَهَبَ بِحَياتِه .

أَصْبَحَتِ ٱلْمَرْأَةُ وَٱبْنُها في حالَةٍ مُحْزِنَةٍ مِنَ ٱلْحَيْرَةِ وَٱلْعَذابِ . فَهُما عاجِزانِ عَنْ حَرْثِ ٱلْأَرْضِ وَزَرْعِها وَٱلْعِنايَةِ بِٱلْأَشْجارِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ بَذَلا ما في وُسْعِهِما لِتَأْمينِ عَيْشِهِما ٱلضَّروريِّ . وَأَخَذا يُنْفِقانِ مِنَ ٱلْمالِ ٱلْقَليلِ ٱلَّذي ٱدَّخَرَهُ ٱلْفَلّاحُ ، إِلى أَنْ نَفِدَ ما لَدَيْهِما ، وَشَحَّتِ ٱلْمَزْرَعَةُ بِٱلْغِلالِ عَلَيْهِما ، فَدَعَتِ ٱلْقَرَوِيَّةُ ٱبْنَها وَقالَتْ لَهُ :

ـــ قَدْ أَنْفَقْنا كُلَّ ما عِنْدَنا ، وَلَمْ يَبْقَ لَدَيْنا قِرْشٌ واحِدٌ ، وَلا طَحينَ نَعْجِنُهُ لِإِعْدادِ خُبْزِنا .

دُهِشَ جاكو لِكَلامِ أُمِّهِ وَقالَ :

ـ أَوَصلَتْ بنا ٱلْحالَةُ إلى هٰذا ٱلْحدّ ؟ ولٰكِنَّكِ نَسيتِ يا أُمّاهُ بَقَرَتَنا بَيْضاءَ ، فَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَميعِ بَقَراتِ ٱلْمُزارِعينَ في هٰذا ٱلْوادي ٱلأَخْضَرِ .

ـ غَذَّتْنا بَيْضاءُ بِلَبَنِها أَسابيعَ وَأَشْهُراً ، وَٱلْآنَ نَضَبَ هٰـــذا ٱللَّبَن .. وَلَنْ تعودَ إلى ٱلْحَلْبِ إلّا بَعْدَ أَنْ تَسْتَريحَ مُدَّةً مِنَ ٱلزَّمَنِ ، فَما نَحْنُ فاعِلونَ إلى أَنْ يَحينَ هٰذا ٱلْوَقْت ؟

قالَتِ ٱلْأُمُّ هٰذِهِ ٱلْكَلِماتِ وَٱلْحُزْنُ مُرْتَسِمٌ عَلى وَجْهِها ، وَسالَتْ مِنْ عَيْنَيْها دَمْعَتانِ كَبيرَتانِ .

أَجابَ جاكو وَقَدْ تَأَثَّرَ لِحالَةِ أُمِّهِ ، لِأَنَه كانَ يُحِبُّها مِنْ أَعْماقِ قَلْبِهِ :

ـ لا تَبْكي .. نَبيعُ بَيْضاءَ إذا قَضَتِ ٱلضَّرورَةُ بِذٰلِكَ .. وَلٰكِنَّني أُحاوِلُ أَوَّلاً ٱلتَّفْتيشَ عَنْ عَمَلٍ .

ذَهَبَ ٱلْغلامُ ساعِياً في ٱلْمَـزارِعِ ٱلْمُجاوِرَةِ وَراءَ مَنْ يَقْبَلُ بِهِ عامِلاً . فَكانَ ٱلْجَميعُ يَنْظُرونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَفَحَّصونَ قامَتَهُ ، وَيَقولونَ لَهُ :

ــ لا خَيْرَ في غُلامٍ صَغيرٍ في مِثْلِ سِنِّكَ وَقامَتِكَ .. عُدْ إِلَيْنا بَعْدَ خَمْسِ سَنَواتٍ ، عِنْدَما يَنْمو جِسْمُكَ ، وَتَقْوى عَضَلاتُكَ ، فَقَدْ نَجِدُ لَكَ آنَذاكَ عَمَلاً تُحْسِنُه .

وَكانَ يَعودُ إِلى أُمِّهِ مَساءَ كُلِّ يَوْمٍ تَعِباً خائِباً حَزينَ ٱلنَّفْس . وَلَمّا يَئِسَتِ ٱلْمَرْأَةُ مِنْ حالَتِها قالَتْ لَهُ :

ــ لا بَأْسَ عَلَيْكَ يا بُنَيّ ! نَبيعُ بَقَرَتَنـا بَيْضاء . غَداً تُقامُ ٱلسّوقُ في ٱلْقَرْيَةِ ٱلْمُجاوِرَةِ فَتَذْهَبُ بِها إِلى هُناكَ وَتَبيعُها ، وَنَشْتَري بِثَمَنِها مـا نَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعامٍ لِأَسابيعَ كَثيرَة .

ٱلْبُزورُ ٱلْعَجيبَة

في ٱلصَّباحِ حَلَّ جاكو رِباطَ ٱلْبَقَرَةِ وَأَخْرَجَها مِنَ ٱلزَّريبَةِ لِيَذْهَبَ بِها إلى ٱلسّوقِ وَقالَ لِأُمِّهِ :

ــ لا تَقْلَقي عَلَيَّ يا أُمّاهُ ، سَأَبيعُها بِثَمَنٍ مُوافِق .

ما سارَ خُطُواتٍ في طَريقِهِ حَتَّى لَقِيَهُ رَجُلٌ قَصيرُ ٱلْقامَةِ ، غَريبُ ٱلْمَظْهَرِ فَبادَرَهُ بِقَوْلِهِ :

ــ اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا جاكو ! إلى أَيْنَ أَنْتَ ذاهِب ؟

ــ أَتَوَجَّهُ إلى ٱلسّوقِ لِأَبيعَ بَقَرَتي بَيْضاء .

ــ يَبْدو لي أَنَّكَ غُلامٌ طَيِّبُ ٱلْخُلُقِ وَمُطيع . أَصْغِ إلَيَّ جَيِّداً .. أَوَدُّ أَنْ أَعْقِدَ مَعَكَ صَفْقَةً رابِحَةً تَفيدُ مِنْها فائِدَةً كَبيرَة .

قالَ هٰذا وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ خَمْسَ حَبّاتٍ مِنْ بُزورِ ٱللّوبِياء



ٱلعَجيبَةِ ٱلشَّكْلِ ، وَتابَعَ كَلامَه :

ـــ أَعْطِني بَقَرَتَكَ أُعْطِكَ هٰذِهِ ٱلْحَبّاتِ ٱلْخَمْس .

فَصاحَ بِهِ ٱلْغُلام :

ـــ كَلامُكَ في غايَةِ ٱلسُّخْف .. أَأَبْلَهُ أَنا لِأَقْبلَ بِهٰذا ٱلعَرْض ؟

ـــ هٰذِهِ ٱلْحَبّاتُ لا مَثيلَ لَها . إِزْرَعْها مَساءَ ٱلْيَوْمِ تَرَها صَباحَ غَدٍ قَدْ نَمَتْ بِشَكْلٍ عَجيبٍ حَتّى وَصَلَتْ إلى ٱلسَّماء .

تَرَدَّدَ جاكو عِنْدَ سَماعِ هٰذا ٱلْخَبَرِ ٱلْمُدْهِشِ ، وَتَحَرَّكَتْ في نَفْسِهِ رَغْبَةٌ في ٱلْحُصولِ عَلى ٱلْحَبّاتِ ٱلعَجيبَةِ لِيَرى ما يَكونُ مِنْ أَمْرِها . فَقَدْ تَكونُ نَتيجَتُها أَفْضَلَ مِنْ دَنانيرَ مَعْدودَةٍ يَنالُها مُقابِلَ بَقَرَتِه . فَأَخَذَ حَبّاتِ ٱللّوبِياءِ ٱلْخَمْسَ وَسَلَّمَ ٱلرَّجلَ مِقْوَدَ بَقَرَتِهِ بَيْضاءَ ، وَعادَ مُسْرِعاً إلى ٱلْمَزْرَعَةِ

وَهُوَ يَقولُ في نَفْسِهِ :

— إنَّ أُمّي سَتَكونُ في غايَةِ ٱلسُّرور .

ما رَأَتْهُ أُمُّهُ مُقبِلاً عَلَيْها بِٱلْحَبّاتِ ٱلْخَمْسِ ثَمَناً لِلْبَقَرَةِ ٱلسَّمينَةِ ٱلسَّخِيَّةِ بِلَبَنِها حَتّى ٱنفَجَرَتْ بِٱلْبُكاءِ عَلى سوءِ حَظِّها بِهٰذا ٱلوَلَدِ ٱلْغَبِيِّ ، وَأَخَذَتِ ٱلْحَبّاتِ وَطَرَحَتْها مِنَ ٱلنّافِذَةِ ، وَأَنَّبَتْ وَلَدَها تَأْنيباً عَنيفاً وَبَعَثَتْ بِهِ لِيَنامَ بِلا عَشاء .

مُفاجَأَةُ ٱلصَّباح

اسْتَيقَظَ جاكو باكِراً ، وَلٰكِنَّهُ ظَلَّ مُخْتَبِئاً تَحْتَ لِحافِهِ مُفَكِّراً بِما سَبَّبَهُ لِأُمِّهِ مِنْ عَناءٍ ، وَبِٱلْبَقَرَةِ بَيْضاءَ ٱلَّتي خَسِرَها بِلا مُقابِلٍ ، وَكانَتِ ٱلْأَمَلَ ٱلْأَخيرَ لَهُ وَلِأُمِّهِ .

ثُمَّ أَخْرَجَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ حَوْلَهُ في ٱلْغُرْفَةِ فَتَبَيَّنَ أَنَّ شَيْئاً ما

قَدْ تَبَدَّلَ فِيها . وَقالَ في نَفْسِهِ :

ـــ إنَّ ٱلصُّبْحَ قَدْ أَقْبَلَ ، وَٱلشَّمْسُ تَدْخُلُ عادَةً مِنْ نافِذَتي فَتَمْلأُ غُرْفَتي بِنورِها وَدِفْئِها ، فَلِمَ تَأَخَّرَتِ ٱلْيَوْم ؟ ما تَزالُ غُرْفَتي مُظْلِمَةً .

نَهَضَ مِنْ سَريرِهِ وَفَتَحَ ٱلشُّبَّاكَ ، وَوَقَفَ أَمامَ ما رَآهُ مَذْهولاً ..

ـــ ماذا رأى ؟

فَرَكَ عَيْنَيْهِ بِيَدَيْهِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ في حُلُم . هُوَ لا يُصَدِّقُ ما يَقَعُ عَلَيْهِ نَظَرُهُ . إنَّ شَجَرَةً ضَخْمَةً نَبَتَتْ قُرْبَ ٱلنَّافِذَةِ ، وَٱرْتَفَعَتْ أَغْصانُها عالِياً ، عالِياً ، بِحَيْثُ تَبْدو وَكَأَنَّها مُتَّصِلَةٌ بِٱلسَّماء . فَصاحَ بِأَعْلى صَوْتِهِ مُبْتَهِجاً :

ـــ هٰذِهِ حَبَّاتُ ٱللُّوبياءِ ٱلْخَمْس !! هٰذِهِ أَغْصانُها ٱلْمُتَلاصِقَةُ ٱلثَّخينَة . إِنَّها شَبيهَةٌ بِسُلَّمٍ يَرْقى إِلى ٱلْغُيومِ ، فَعَلَيَّ إِذاً بِتَسَلُّقِها قَبْلَ أَنْ تَسْتَيْقِظَ أُمّي مِنْ نَوْمِها .

قَصْرُ ٱلْمارِد

إِرْتَدى جاكو ثِيابَهُ بِسُرْعَةٍ وَقَفَزَ مِنَ ٱلشُّبّاكِ وَأَخَذَ يَتَسَلَّقُ أَغْصانَ ٱللّوبياءِ . فَٱرْتَقاها واحِداً بَعْدَ واحِدٍ ، وَعَلا شَيْئاً فَشَيْئاً حَتّى بَدَتْ لَهُ بُيوتُ ٱلْمَزارِعِ وَٱلْقُرى ٱلْمُجاوِرَةِ صَغيرَةً كَأَنَّها لُعَبُ ٱلْأَطْفال . وَتابَعَ تَصْعيدَهُ حَتّى ٱخْتَرَقَ ٱلْغُيومَ ٱلْبَيْضاءَ ٱلعالِيَةَ وَوَصَلَ أَخيراً إِلى قِمَّةِ شَجَرَةِ ٱللّوبِياء ٱلْعَجيبَةِ . وَوَجَدَ هُناكَ شارِعاً عَريضاً مَفْروشاً بِٱلْحَصى ٱلْبَيْضاء ، يُفْضي إِلى قَصْرٍ مِنَ ٱلْحِجارَةِ ٱلرَّمادِيَّة . وَرَأى أَمامَ ٱلْقَصْرِ ٱمْرَأَةً تَتَوَجَّهُ نَحْوَهُ لِٱسْتِقْبالِه .

وَكانتْ كَبيرَةَ ٱلْجُثَّةِ بِحَيْثُ بَدا جاكو قزَماً بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْها . فَقالَ لَها مُتَأَدِّباً :

ــ صَباحُ ٱلْخَيْرِ يا سَيِّدَتي .. أَلَدَيْكِ ما تُقَدِّمينَهُ لي مِنْ طَعامٍ لِفَطوري .. إِنّي لَجائِعٌ جِدًّا .

قالَتْ :

ــ كَيْفَ تَجْرُؤُ على مِثْلِ هٰذا ٱلطَّلَبِ ؟ أَلا تَعْرِفُ أَنَّ زَوْجي مارِدٌ يُحِبُّ أَكْلَ ٱلْأَوْلادِ ٱلصِّغارِ أَمْثالِكَ .. فَما جِئْتَ تَفْعَلُ هُنا !

أَخَذَ ٱلْغُلامُ بِيَدِها وَقالَ راجِياً :

ــ كِسْرَةُ خُبْزٍ يا سَيِّدَتي وَقَليلٌ مِنَ ٱلْحَساءِ ٱلَّذي أَشُمُّ رائِحَتَهُ ٱللَّذيذَةَ مِنْ هُنا .. هٰذا يَكْفيني ، فَأَنا جائِعٌ ..

رَقَّ قَلْبُ ٱلْمَرْأَةِ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَتْهُ بَيْتَها وَقَدَّمَتْ لَهُ صَحْناً

مِنَ ٱلْحَساءِ وَحذَّرَتْهُ قائِلَة :

ــ إذا أَحسَسْتَ بزَوْجي قادِمــاً ٱختَبِئْ حالاً وَإلّا فَإنَّهُ يَقضُمُ عِظامَكَ بِأَسْنانِهِ كَما تَقْضُمُ أَنتَ قِطْعَةً مِنَ ٱلْبَسْكَويت .

ما أَنهى تَناوُلَ ٱلْحَساءِ حَتّى سَمِعَ وَقْــعَ خُطُواتٍ ثَقيلَةٍ ، فَعَرَفَ أَنَّ ٱلْمارِدَ مُقْبِلٌ ، فَفَتَحَ بابَ ٱلْفُرْنِ وَٱخْتَبَأَ في داخِلِهِ . ثُمَّ سَمِعَ بَعْــدَ قَليلٍ صَوْتَ ٱلْمارِدِ قائِلاً :

ــ أَشُمُّ رائِحَةَ لَحْمٍ طازَجٍ . لا شَكَّ في وُجودِ صَبِيٍّ صَغيرٍ هُنا .

وَإذا بِٱلزَّوجَةِ تَقول :

ــ أَنتَ لا تُفَكِّرُ إلّا بِٱلطَّعام .. شَراهَتُكَ لا مَثيلَ لَها .. هٰذِهِ رائِحَةُ ٱلطَّعامِ ٱلَّذي أُعِدُّهُ لِغَدائِك . تَعالَ كُلْ لِتَشْبَعَ

أيها البطون ..

كانَ المارِدُ في غايَةِ الجوعِ ، وكانَ الطَّعامُ شَهِيًّا ، فَخَطَّأَ حاسَّةَ الشَّمِّ لَدَيْهِ وقَعَدَ على كُرْسِيِّهِ أمامَ المائِدَةِ وأكَلَ كُلَّ ما في القِدْرِ الكَبيرَةِ مِنْ لَحْمٍ وأرُزٍّ حتّى امْتَلأَ بطْنُه . ثُمَّ قامَ فَأَحْضَرَ أَكْياساً صَغيرَةً وَضَعَها أمامَهُ وفَتَحَها وأَخْرَجَ ما فيها مِنْ دَنانيرَ ذَهَبِيَّةٍ ، وأَخَذَ يَتَفَحَّصُها واحِداً واحِداً . وبَيْنَما هُوَ يَنْظُرُ فيها ويَعُدُّها أدْرَكَهُ النُّعاسُ فَتَثاءَبَ وأَغْفى على كُرْسِيِّه .

سَمِعَ جاكو ، وَهُوَ داخِلَ الفُرْنِ ، شَخيرَ المارِدِ ، فَفَتَحَ البابَ وخَرَجَ مِنْ مَكْمَنِهِ ، واقْتَرَبَ مِنَ المائِدَةِ مُتَمَهِّلاً ، وأَخَذَ واحِداً مِنَ الأكْياسِ الذَّهَبِيَّةِ وأَسْرَعَ هارِباً ، مُبْتَعِداً عَنِ القَصْرِ ، حَتّى وَصَلَ إلى شَجَرَةِ اللُّوبِياءِ فَانْحَدَرَ عَلَيْها بِأَقْصى ما يُمْكِنُهُ مِنَ العَجَلَةِ وَهُوَ

يَصيحُ بِأَعْلى صَوْتِه :

ــ أُمّي ! أُمّي ! أَصْبَحْنا أَغْنِيـاء .. تَعالَيْ .. ٱنْظُري ما مَعي !

لَمّـا رَأَتِ ٱلْفَلّاحَةُ ٱلدَّنانيرَ ٱلذَّهَبِيَّةَ قَبَّلَتْ ٱبْنَها وَصَفَّقَتْ بِيَدَيْها فَرَحاً . وَعـاشا أَشْهُراً هانِئَيْنِ لا هَمَّ يُكَدِّرُ صَفوَ خاطِرِهِما ، إِلى أَنْ نَفِدَ ٱلْمالُ ، وَلَمْ يَبْقَ في ٱلْكيسِ دينـارٌ واحِدٌ ، فَقالَ جاكو لِأُمِّهِ :

ــ لا تَحْزَني يا أُمّاه ! سَأَتَسَلَّقُ ٱللّوبياء .. إِنَّ زَوْجَةَ ٱلْمارِدِ ٱمْرَأَةٌ طَيِّبَةٌ وَلَدى زَوْجِها أَمْـوالٌ كَثيرَةٌ لا يَعْرِفُ ما يَفْعَلُ بِها . فَمِنَ ٱلْعَدْلِ أَنْ يَكونَ لَنا فيها نَصيب .

دَجاجَةُ ٱلذَّهَب

عادَ جاكو فَتَسَلَّقَ أَغْصانَ ٱللّوبياء ، وَٱجْتـازَ مِنْطَقَةَ



ٱلْغُيومِ ٱلْبَيْضاءِ ، حَتى وَصلَ إلى ٱلشّارِعِ ٱلْعَريضِ ٱلَّذي يُفْضي إلى ٱلْقَصْرِ ٱلْكَبير . وَنَجَحَ في إِقْناعِ زَوْجَةِ ٱلْمارِدِ بِٱسْتِضافَتِهِ وَفي تَقْديمِ ٱلطَّعامِ لَهُ . وَلَمّا أَحسَّ بِٱلْقَصْرِ يَضْطَرِبُ ، وَسَمِعَ وَقْعَ خُطُواتٍ ثَقيلَةٍ عَرَفَ أَنَّ ٱلْمارِدَ قَدْ أَقْبَلَ ، فَسارَعَ إلى ٱلِاخْتِباءِ في ٱلْفُرْنِ . وَبَعْدَ أَنْ أَكَلَ ٱلْمارِدُ حَتَّى ٱمْتَلأَ بَطْنُهُ طَلَبَ مِنْ زَوْجَتِهِ أَنْ تَأْتِيَهُ بِدَجاجَتِهِ ٱلْأَثيرَةِ لَدَيْهِ ، فَما وَضَعَها عَلى ٱلْمائِدَةِ أَمامَهُ حَتّى أَخذَتْ تَبيضُ بَيْضاتٍ كَبيرَةً مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْخالِصِ ٱلْبَرّاق .

قالَ جاكو في نَفْسِهِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْها مِنْ شَقٍّ في بابِ ٱلْفُرْنِ :

ـ لَوْ كانَ لَدَيْنا مِثْلُ هٰذِهِ ٱلدَّجاجَةِ ٱلْعَجيبَةِ ، تَبيضُ ٱلذَّهَبَ في مَزْرَعَتِنا لَما ٱحْتَجْتُ مَعَ أُمّي إلى ٱلْكَدِّ طولَ

ٱلنَّهارِ لِكَسْبِ لُقْمَةِ ٱلْعَيْشِ . عَلَيَّ بِأَخْذِها مِنْهُ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِها .

بَعْدَ مُرورِ دَقائِقَ مَعْدودَةٍ أَخَذَ ٱلْمارِدُ بِٱلتَّثاؤُبِ ، ثُمَّ أَغْفى عَلى كُرْسِيِّهِ وَبَدَأَ يَشْخُرُ شَخيراً عالِياً . فَخَرَجَ ٱلْغُلامُ مِنْ مَكْمَنِهِ وَقَبَضَ عَلى ٱلدَّجاجَةِ وَعَدا بِأَقْصى سُرْعَتِهِ خارِجاً مِنَ ٱلْقَصْرِ . غَيْرَ أَنَّ ٱلْخَوْفَ دَبَّ في قَلْبِ ٱلدَّجاجَةِ فَقاقَتْ بِأَعْلى صَوْتِها بِحَيْثُ نَبَّهَتِ ٱلْمارِدَ مِنْ نَوْمِهِ . وَما فَتَحَ عَيْنَيْهِ حَتّى تَحَقَّقَ مِمّا حَدَثَ وَمِنْ أَنَّ ٱلدَّجاجَةَ قَدْ سُرِقَتْ ، فَٱنْدَفَعَ يَعْدو وَراءَ جاكو ، وَيُطْلِقُ صَيْحاتٍ مُرْعِبَةً .

أَسْرَعَ جاكو مُجْتازاً ٱلشّارِعَ ٱلْعَريضَ حَتّى وَصَلَ إِلى قِمَّةِ شَجَرَةِ ٱللّوبِياءِ . وَكانَ ٱلْمارِدُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مِنْهُ وَٱلشَّرَرُ يَتَطايَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ تَعَثَّرَ في رَكْضِهِ فَٱنْقَلَبَ عَلى ٱلْأَرْضِ ، وَٱنْتَهَزَ ٱلصَّغيرُ ٱلْفُرْصَةَ ٱلْمُؤاتِيَةَ وَٱنْحَدَرَ عَلى أَغْصانِ ٱللّوبِياءِ

بِسُرْعَةٍ هائِلَةٍ وَهُوَ يَشُدُّ بِٱلدَّجاجَةِ ٱلعَجيبَةِ إلى صَدْرِهِ ، وَما بَلَغَ ٱلْأَرْضَ حَتّى نادى بِأَعْلى صَوْتِه :

ــ أُمّاه ! أُمّاه ! إِلَيْكِ بِدَجاجَةٍ تَبيضُ ذَهَباً .

نَصيحَةُ ٱلْأُمِّ

فَرِحَتْ أُمُّهُ بِعَوْدَتِهِ سالِماً وَهَنَّأَتْهُ عَلى شَجاعَتِهِ ، وَلٰكِنَّها قالَتْ لَهُ :

ــ هٰذِهِ ٱلنُّزُهاتُ ٱلَّتي تَقومُ بِها فَوْقَ ٱلْغُيومِ تَبْعَثُ ٱلْخَوْفَ في قَلْبي . لا أُحِبُّ رُؤْيَتَكَ مُغامِراً في قُصورِ ٱلْمَرَدَةِ يا بُنَيَّ .. نَحْنُ ٱلآنَ أَغْنِياءُ ، وَلا نَخافُ مِنَ ٱلْمَوْتِ جوعاً ، فَعَلَيْكَ إِذاً أَلّا تُخاطِرَ بِنَفْسِكَ مَرَّةً أُخرى . فَلا تُكْتَبُ لَكَ ٱلسَّلامَةُ في كُلِّ مُغامَرَة . عِدْني بِأَلّا تَعودَ إلى فَعْلَتِكَ هٰذِهِ . إِنَّ ٱلدَّجاجَةَ وَحْدَها كافِيَةٌ لِإعالَتِنا .

وَعدَ جاكو أُمَّهُ بِما تُريدُ ، وَبِأَلّا يُخالِفَ وَصِيَّتَها ، وَيَبْتَعِدَ عَنْها . وَلٰكِنَّ ٱلزَّمَنَ طـــالَ ، وَمَرَّتِ ٱلْأَيّامُ وَٱلْأَسابيعُ وَٱلسَّأَمُ حَلَّ في نَفْسِهِ . فَهُوَ يَقْضي أَيّامَهُ مُتَنَزِّهاً ، آكِلاً ، شارِباً ، مُسْتَرِيحاً . يَتَوَجَّهُ أَحْياناً إِلى ٱلْقَرْيَةِ مُفَتِّشاً عَــنِ ٱلرَّجُلِ ٱلْقَصيرِ ٱلْقامَةِ ٱلَّذي أَعْطاهُ حَبّاتِ ٱللّوبِياءِ ٱلْخَمْسَ ، فَلا يُوَفَّقُ في ٱلِاجْتِماعِ بِهِ ، وَيَسْأَلُ عَنْهُ ٱلتُّجّارَ وَأَصْحابَ ٱلْمَحَلّاتِ فَما يُفيدونَهُ شَيْئاً . وَيَذْهَبُ أَيْضاً إِلى ٱلْمَدينَـةِ سائِلاً فَلا يَظْفَرُ بِبُغْيَتِهِ . وَكانَتْ أُمُّهُ تَحُضُّهُ عَلى ٱلْعَمَلِ فَيَأْبى ذٰلِكَ ، وَكانَتْ تَقولُ لَهُ :

ــ لا أَفْهَمُ تَصَرُّفَكَ يا بُنَيَّ ! تَقْضي أَيّامَكَ حالِماً في حينِ أَنَّ ٱلْغِلْمانَ أَمْثالَكَ يَذْهَبونَ لِلَّعِبِ في ٱلْمُروجِ ، أَوْ يُساعِدونَ ذَويهِمْ في أَعْمالِ ٱلْمَزارِعِ . كَمْ أَتَمَنّى لَوْ أَنَّكَ تُصادِفُ ٱلرَّجُلَ ٱلْقَصيرَ ٱلْقامَةِ وَتَأْخُذُ مِنْهُ ٱلْحَبّاتِ ٱلْخَمْسَ .

كانَ في وُسْعِنا ٱلتَّغلبُ عَلى مَصاعِبِنا بِلا مُساعَدَتِه . فَيُجيبُها بِقَوْلِه :

ــ لَستِ قادِرَةً عَلى فَهمِ تَصَرُّفي يا أُمّاه ! وَلَسْتُ أنا قادِراً عَلى نِسْيانِ ٱلعالَمِ ٱلْغَريبِ ٱلْعَجيبِ ٱلْمَوْجودِ فَوْقَ ٱلْغُيوم . أُمْنِيَّتي ٱلْوَحيــدَةُ أَنْ تَأْذَني لي بِٱلعَـوْدَةِ إِلى هُناكَ مَرَّةً واحِدَةً وَأَخيرَة .

عَوْدَةٌ إِلى ٱلْمُغامَرَة

أَلَحَّ جاكو عَلى أُمِّهِ إِلى أَنْ رَضِيَتْ بِطَلَبِهِ وَقالَتْ لَهُ :

ــ آذَنُ لَكَ بِتَسَلُّقِ ٱللّوبِياءِ لِلْمَرَّةِ ٱلْأَخيرَةِ ، وَلٰكِنَّ هَواجِسي لا تَهْدَأُ قَبْلَ أَنْ أَراكَ ثانِيَةً في هٰذا ٱلْبَيْت .

إِلْتَمَعَتْ عَيْنا ٱلْغُلامِ فَرَحاً وَأَسْرَعَ إِلى ٱللوبِياءِ فَتَسَلَّقَ أَغْصانَها وَهُوَ يَقولُ في نَفْسِه :

ـ سَأَجِدُ وَسيلَةً لِتُحْسِنَ زَوْجَـةُ ٱلْمارِدِ ٱسْتِقْبالي في بَيْتِها ...

وَلَمّـا وَصَلَ إلى ٱلْقَصْرِ لَمْ يَجِدِ ٱلْمَرْأَةَ هُناكَ. وَفَتَّشَ عَنْها طَويلاً فَـلَمْ يَعْثُرْ لَها على أَثَرٍ ، فَدَخَلَ ٱلْفُرْنَ وَٱخْتَبَأَ فيهِ كَما فَعَلَ في ٱلْمَرَّتَيْنِ ٱلسّابِقَتَيْن ، ظانًّا أَنَّ ٱلْمارِدَ ، كَعادَتِهِ بَعْدَ تَناوُلِ طَعامِهِ وَعَدِّ دَنانيرِهِ ، سَيَنْعَسُ وَيَنام .

إِنْتَظَرَ جاكو طَويلاً في مَكْمَنِهِ قَبْلَ أَنْ يُحِسَّ بِٱضْطِرابِ ٱلْقَصْرِ ، وَيَسْمَعَ وَقْعَ خُطُواتِ ٱلْمارِدِ ٱلْعائِدِ إلى بَيْتِـهِ. وَرَنَّ صَوْتُهُ في سَمْعِهِ يَقولُ لَها :

ـ أَشُمُّ رائِحَـةَ ٱللَّحْمِ ٱلطّازَج ! لا شَكَّ في وُجودِ صَبِيٍّ في هٰذا ٱلْمَكان ..

وَسَمِعَ ٱلزَّوْجَةَ تُجيب :

ـ أَنْتَ مُخْطِىء .. هٰـذِهِ رائِحَةُ ٱلْخَروفِ ٱلَّذي أَشْويهِ

لِغَدائِك ..

بَعْدَ أَنْ أَكَلَ حَتّى ٱمْتَلأَ بَطْنُهُ سَمِعَهُ جاكو يَقولُ لِزَوْجَتِهِ :

ــ جيئيني بِقيثارَتي ٱلسِّحْرِيَّة ..

ثُمَّ وَقَعَ في أُذُنِهِ أَلْحانٌ عَذْبَةٌ طَرِبَ لَها وَقالَ في نَفْسِهِ :

ــ أُريدُ ٱلْحُصولَ عَلى هٰذِهِ ٱلْقيثارَةِ مَهْما كَلَّفَ ٱلثَّمَن .

ٱنْتَظَرَ في مَكْمَنِهِ إِلى أَنْ تَعِبَ ٱلْمارِدُ مِنْ سَماعِ ٱلْموسيقى، وَنَعِسَ فَنامَ في كُرْسِيِّهِ ، وَعِنْدَئِذٍ خَرَجَ مِنَ ٱلْفُرْنِ وَأَسْرَعَ نَحْوَ ٱلْمائِدَةِ ، وَما مَسَّتْ يَدُهُ ٱلْقيثارَةَ حَتّى ٱنْطَلَقَتْ أَوْتارُها صائِحَةً بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ :

ــ سَيِّدي .. سَيِّدي ...

جَمَدَ جاكو في مَوْضِعِهِ رُعْباً ، وَٱنْتَبَهَ ٱلْمارِدُ مِنْ نَوْمِهِ

غاضِباً . فَما كانَ مِنَ ٱلصَّبِيِّ إِلّا أَنِ ٱخْتَطَفَ ٱلْقِيثارَةَ وَأَخَذَها تَحْتَ إِبْطِـهِ ، وَجَرى بِأَقْصى سُرْعَتِهِ مُجْتازاً مَمَرّاتِ ٱلْقَصْرِ وَٱلْمارِدُ يَتْبَعُهُ وَهُوَ يَصيحُ :

— سَأَدُقُّ عِظامَكَ أَيُّها ٱللِّصُّ ٱللَّعين ؟

تابَعَ جاكو عَدْوَهُ لاهِثاً ، وَٱلْخَوْفُ يَلْسَعُهُ كَٱلسِّياطِ ، وَٱلقِيثارَةُ تُتابِعُ صِياحَها مُسْتَغيثَةً مُحاوِلَةً ٱلْإِفْلاتَ مِنْـهُ . وَكانَ يَقولُ في نَفْسِهِ :

— نَجاتي في بُلوغي شَجَرَةَ ٱللُّوبِياءِ ، فَـإِنَّ ٱلْمارِدَ عاجِزٌ عَنِ ٱلنُّزولِ عَلى أَغْصانِها .

غَيْرَ أَنَّ أُمْنِيَّتَهُ لَمْ تَتَحَقَّقْ ، فَقَدْ لَحِقَ بِـهِ ٱلْمارِدُ نازِلاً وَراءَهُ غَيْرَ مُبالٍ بِثِقَلِ جِسْمِهِ . وَكانَ جاكو يُحِسُّ بِشَجَرَةِ ٱللُّوبِياءِ تَرْتَجِفُ كَوَرَقَةٍ في مَهَبِّ ٱلرِّيحِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجْرُؤَ عَلى ٱلِٱلْتِفاتِ إِلى ٱلْوَراءِ خَوْفـاً مِنْ أَنْ تُفْلِتَ مِنْهُ

ٱلقِيثارَةَ ٱلنَّفيسَةُ . وَأَخذَ قَلْبُهُ بِٱلْخَفقانِ بِسُرْعَةٍ ، وَلٰكِنَّهُ تابَعَ نُزولَهُ بِأَقْصى ما وَسِعَهُ مِنَ ٱلعَجَلَةِ . وَوَصَلَ إِلى ٱلأَرْضِ ، وَأَسْرَعَ إِلى ٱلبَيْتِ وَجاءَ بِفَأْسِ ٱلْحَطَبِ وَأَخذَ يَضْرِبُ جِذْعَ شَجَرَةِ ٱللُّوبياءِ ضَرْباً شَديداً بِكُلِّ قُوَّتِه . وَبَدَأَ ٱلْجِذْعُ يَتَفَتَّتُ شَيْئاً فَشَيْئاً ، ثُمَّ تَمايَلَتْ شَجَرَةُ ٱللُّوبِياءِ كَأَنَّ عاصِفَةً تُحاوِلُ ٱقْتِلاعَها وَصاحَ جاكو بِأُمِّهِ :

— إِبْتَعدي ... إِبْتَعِدي ..

وَسَمِعَ مَعَ أُمِّهِ ٱلمارِدَ يُزَمْجِرُ وَهُوَ يُحاوِلُ ٱلتَّمَسُّكَ بِالأَغْصانِ ٱلْمُضْطَرِبَة . وَتابَعَ ضَرْبَ ٱلْجِــذْعِ حَتّى ٱنْقَطَعَ وَٱنْهارَتِ ٱلشَّجَرَةُ في قَرْقَعَةٍ هائِلَةٍ كَالرَّعْدِ ، وَسَقَطَ مَعَها ٱلمارِدُ صَريعاً عَلى ٱلأَرْض .

عاشَ جاكو ، بَعْدَ ذٰلِكَ ، مَعَ أُمِّهِ حَياةً هانِئَةً أَعْواماً وَأَعْواماً . وَكانَ ، في ٱلأُمْسِياتِ ٱلطَّويلَةِ قُرْبَ ٱلْمَوْقِدِ ،

يَرْوي لِأُمِّهِ ، ثُمَّ لِزَوْجَتِهِ وَلِأَوْلادِهِ مِنْ بَعْدُ أَخْبارَ مُغامَراتِهِ الْعَجيبَةِ فَوْقَ الْغُيوم . وَإِذا دَبَّ السَّأَمُ في قُلوبِهِمْ كانَتِ الْقيثارَةُ تَعْزِفُ لَهُمْ أَطْرَبَ الْأَلْحانِ وَأَجْمَلَها ، فَتَبْعَثُ فيهِم السَّعادَةَ . وَإِذا احْتاجوا إِلى مالٍ باعوا الْبَيْضاتِ الذَّهَبِيَّةَ وَاشْتَرَوْا بِثَمَنِها كُلَّ ما تَرْغَبُ فيهِ نُفوسُهُم .

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير تلفون ٢٧٦٥٣٨ ـ ٢٧٧١٨٤
حارة حريك لبنان



دار شهرزاد



- نقلت «شهرزاد» القراء الى عالم سحري مليء بالعجائب والغرائب وزارت معهم البلاد والأقطار .
- وهذا ما تحمله «دار شهرزاد» اليوم اليكم ايها الصغار الذين تحبون الجديد والطريف والجميل .

حكايات شهرزاد

١ ــ الدجاجة البيضاء
٢ ــ الامير بهلول
٣ ــ مغامرات بشوش
٤ ــ الغابة المسحورة
٥ ــ هبلان
٦ ــ هزيمة التنين
٧ ــ الارنب مامبو
٨ ــ مسرور ونبتة الحياة
٩ ــ جوقة الحمار
١٠ ــ اميرة النحل
١١ ــ المغامرون
١٢ ــ رهوان القنوع
١٣ ــ الهر الذكي
١٤ ــ بنانه
١٥ ــ الاخوة الماهرون

الاساطير

١ ــ شيخ الجبل
٢ ــ سلطان باتان
٣ ــ تماري والاوزات السبع
٤ ــ الفانوس السحري
٥ ــ بلاد السلام
٦ ــ تفاحة الذهب
٧ ــ خوانو الشجاع
٨ ــ ين سو
٩ ــ سر الغابة
١٠ ــ الهندي النحات

حكايات جدتي

١ ــ ليلى ذات القبعة الحمراء
٢ ــ العزاة وصغارها
٣ ــ الدببة الثلاثة
٤ ــ فتاة الغابة
٥ ــ القزم الفهيم
٦ ــ انتصار الحمار
٧ ــ المرآة السحرية
٨ ــ ام الرماد
٩ ــ الامير السعيد
١٠ ــ الدب الوفي
١١ ــ بيت الساحرة
١٢ ــ حكاية تمثال
١٣ ــ جلد الحمار
١٤ ــ كوكو ذو الضفيرة
١٥ ــ الزهرة المسحورة

تطلب من

دار العلم للملايين   مؤسسة نوفل